الرئيس التونسي يعد بحوار وطني.. ولكن مع من؟

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

يقول الخبر إن الرئيس التونسي قيس سعيد أبلغ نظيره الفرنسي إيمانويل ماكرون بأن حوارا وطنيا سيجري قريبا في تونس، لكن اللافت أن هذه المعلومة وردت في بلاغ قصر الإليزيه وغابت عن بلاغ قصر قرطاج بما يشير بوضوح إلى أهميتها كطلب ملحّ تقدم به ماكرون، ولكن دون أن تخرج عن دائرة الرد في صيغة مجاملة من الرئيس سعيد.

الأمر ذاته سبق أن حصل في السابع من أغسطس الماضي عندما أعلن بيان صادر عن الرئاسة الفرنسية أن الرئيس سعيّد تعهّد بتقديم خارطة طريق للمرحلة المقبلة وبأسرع وقت، وهو ما لم يتحقق إلى حد الآن. علينا أن ندرك أن الرئيس التونسي يرفض كل أشكال الضغط وهو عنيد عندما يتعلق الأمر بقناعاته ومواقفه، وهذا ما عبّر عنه في مناسبات عدة، ولكنه لا يريد قطع جسور التواصل مع الشركاء الأجانب.

الرئيس التونسي قيس سعيد يرى أن مشروعه المستقبلي يعتمد بالأساس على الفئات الشبابية التي كانت وراء ترشحه للرئاسيات وفوزه بها والتي يعوّل عليها اليوم في تنفيذ رؤيته الإصلاحية للمستقبل

أثار الحديث عن إمكانية الاتجاه نحو حوار وطني في تونس جدلا واسعا. كثر هم الذين دخلوا في مرحلة التخمين عن موعد الحوار والأطراف التي ستشارك فيه. البعض يحاول استعادة تجربة الحوار الوطني للعام 2013 التي قادتها أربع منظمات وطنية توجت بجائزة نوبل للسلام للعام 2015، وهي الاتحاد العام التونسي للشغل (العمال) والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة (أرباب العمل) وعمادة المحامين والرابطة التونسية لحقوق الإنسان، لكن ذلك الحوار وإن كان نجح في حينه في تجاوز أزمة طاحنة بعد اغتيال الزعيمين المعارضين لحكم الإخوان وهما شكري بلعيد ومحمد البراهمي، وأخرج البلاد من احتمالات الانحدار نحو مربع الفوضى الشاملة، إلا أنه كان السبب في التصديق على دستور 2014 الذي أدى إلى أغلب الأزمات اللاحقة، كما كان وراء تدوير مشروع الإسلام السياسي الذي تجسد في تحالف حركة النهضة مع نداء تونس كنتيجة لضغط دولي كان من أبرز علاماته اللقاء الغامض الذي جمع في أغسطس 2013 بين راشد الغنوشي والباجي قائد السبسي في باريس، والذي قاد البلاد إلى توافق كارثي كان أبرز ضحاياه حزب نداء تونس الفائز في انتخابات 2014 عندما اخترقه الإخوان من الداخل وشرعوا أبوابه لعواصف التصدع والانشقاق حتى أنه بلغ مرحلة التفكك قبل أن ينهي العهدة البرلمانية.

والواقع أن الرئيس قيس سعيد كان يتابع تلك الأحداث وغيرها بعين المحلل والقارئ والمراقب، وهو يعرف أن الإسلام السياسي لا عهد له ولا ميثاق، ويدرك جيدا أن حركة النهضة تمتاز بقدرة تكاد تكون فائقة على استغلال مواطن الضعف ليس فقط في خصمها السياسي وإنما حتى في حليفها، وكل من تحالفوا معها خلال السنوات العشر الماضية انتهوا إلى الانهيار الشامل بدءا من حزب المؤتمر من أجل الجمهورية بزعامة المنصف المرزوقي وحزب التكتل من أجل العمل والحريات بزعامة مصطفى بن جعفر ثم نداء تونس بزعامة الباجي قائد السبسي والاتحاد الوطني الحر لسليم الرياحي وصولا إلى قلب تونس بزعامة نبيل القروي الذي انتهى به الوضع موقوفا في سجن الحراش بالعاصمة الجزائرية.

ويضاف إلى ذلك أن قيس سعيد لا يحبّذ التعامل مع الأحزاب ولا يرى فيها مصلحة، وفكريا لديه قناعة بأن زمن الأحزاب ولّى، وهي قناعة بدأت تنتشر على نطاق واسع في أغلب الدول المعتمدة على نظام الديمقراطية التمثيلية بعد أن تراجع اهتمام المواطنين فيها بالسياسة والانتخابات، كما يحمّل سعيد أحزاب بلاده المسؤولية عن حالة الخراب التي وصل إليها الوضع، وعن انتشار الفساد وتحول البرلمان إلى حلبة صراع ومتاجرة بالولاءات وتستر على الفاسدين وتصديق على قوانين مشبوهة، وهو في هذا السياق يضع الجميع في سلة واحدة، ولا يرى أن حال تونس سيستقيم بالإبقاء على الوضع دون تغيير راديكالي، كما يرى أن القانون الانتخابي بشكله الحالي يساعد على الدفع بالفاشلين والفاسدين والانتهازيين للسلطة، وأن الدستور يحتاج إلى تعديلات جوهرية، وأن النظام السياسي المعتمد منذ العام 2011 غير صالح ولا يمكن التعويل عليه في تحقيق أي إصلاح، بل أن الرئيس ومن خلال مواقفه وتصريحات له، يبدو أنه لا يثق في النخبة السياسية الحالية ولديه انتقادات لجميع الأطراف تقريبا، وإن كان كثيرا ما يتلافى ذكر الأسماء أو المواقع من باب احترام المقامات كما يقول.

وحتى عندما كان عليه إجراء مشاورات سياسية لاختيار الشخصية التي سيكلفها بتشكيل الحكومة بعد الإطاحة بحكومة إلياس الفخفاخ في يوليو2020، رفض الرئيس سعيد أن يستقبل ممثلي الأحزاب البرلمانية وأن يتحاور معهم مباشرة، وطلب منهم أن يوجهوا إليه مقترحاتهم مكتوبة لينظر فيها، وهو ما أكد أنه رافض لهم ولأحزابهم وسياساتها ومقترحاتها، وأنه لا يحبّذ التعامل معهم. يمكن أن نعود قليلا إلى الوراء، فعندما ترشح للانتخابات الرئاسية للعام 2019 تقدم بصفته مستقلا، وعندما انتقل إلى الدور الثاني تدافعت الأحزاب لدعمه دون أن يكون قد طلب منها ذلك، لقد كانت تعمل على استغلال اقترابها منه دون أن يبدي حماسة لذلك.

حتى بعض الأحزاب التي كانت تبدو وكأنها قريبة منه بالفعل، وهي قليلة العدد، لم تعد كذلك اليوم، فالرئيس يتجه نحو مشروع لا يريد له أن يرتبط بأي طرف حزبي، ويرفض بشكل مطلق أن يكون محسوبا على أي طرف أو أن يُحسب عليه أي طرف، ولاسيما في هذه الظروف التي يريد فيها أن يكون مستقلا عن الجميع، مكتفيا بأن لديه قاعدة شعبية واسعة تتجاوز الأحزاب ومجلس النواب، ومستعدا لتحمّل مسؤوليته في إدارة المرحلة القادمة وفق ما يراه صالحا ودون أن يكون في حاجة إلى الرأي أو المشورة من خارج الدائرة المحيطة به والتي لا تتميز فقط بأنها محل ثقته وإنما هي كذلك شريكة له في قناعاته الفكرية ورؤيته للمستقبل السياسي والاقتصادي والاجتماعي للبلاد.

نأتي للسؤال المهم: إذا كان الرئيس سيدخل في حوار وطني فعلا، فمع من سيكون ذلك الحوار؟ الجواب واضح ولا يحتاج إلى اجتهاد كبير: لن يتحاور لا مع الإخوان ولا مع غيرهم، لن يجلس مع الأحزاب ولن يحرج نفسه بتخيير زيد عن عمر، أو فلان عن علان، سيتشاور مع المنظمات التي ستكون على تماسّ مع الحكومة وعلى رأسها اتحاد العمال وأرباب العمل والفلاحين والمرأة، ومع منظمات أخرى كهيئة المحامين ورابطة حقوق الإنسان وجمعية نقابة القضاة، وسيعقد جلسات مع بعض الأكاديميين والخبراء في اختصاصات متعددة ذات علاقة بالدستور والاقتصاد والمالية، لكن المجال الأوسع سيكون للاجتماع بممثلي الشباب، ولاسيما في المناطق الداخلية.

الرئيس سعيد يرى أن مشروعه المستقبلي يعتمد بالأساس على الفئات الشبابية التي كانت وراء ترشحه للرئاسيات وفوزه بها، والتي يعوّل عليها في تنفيذ رؤيته الإصلاحية للمستقبل، وهي رؤية يدرك أنها ستصطدم بالكثير من الحواجز والعراقيل ولاسيما من الأحزاب وبعض اللوبيات، ولكنه سيسعى إلى فرضها من خلال الطبقات الشعبية التي يرى نفسه مؤتمنا عليها ومدافعا عن حقوقها المهضومة، وفي مقدمتها الشباب الذين سيكون لهم مركز الصدارة في أي حوار وطني قادم.

السعودية وإيران وشراء الوقت

علي الصراف
كاتب عراقي

الحوار بين السعودية وإيران إيجابي، وغير مفيد. إيجابي لأنه قد يمنح الرياض فرصة من الوقت، وغير مفيد لأنه لن يفضي إلى نتيجة.

إيران تريد من الحوار أن تحصل على اعتراف سعودي بدورها الإقليمي. وهذا يعني أن تكون طهران صاحبة اليد الطولى في قضايا الأمن في المنطقة. وأن تكون شريكا معترفا به في اليمن والعراق وسوريا ولبنان. فهذه هي إقطاعياتها التي لا تتنازل عنها. وهي لا تعرض على الرياض سوى كف اليد عنها، أو ما يشبه القول: لن نضرب منشآتكم النفطية مرة أخرى. ولكن كلما اتضح لنا أنكم تحاولون إضعاف دورنا أو تميلون إلى ردعنا بواسطة أطراف دولية ثالثة، فسوف نعود لنضربكم. وهذه المرة بقسوة أكبر مما فعلنا من قبل. ولن تستطيعوا أن تفعلوا أي شيء تجاهنا. ومثلما تحملتم الصفعة الأولى فسوف تتحملون الثانية والثالثة والرابعة. ولن ينفعكم حلفاؤكم الذين لن يتحملوا كلفة مواجهتنا.

هذا هو الخطاب الإيراني الحقيقي.

وتريد السعودية من الحوار شيئا آخر يستند إلى القيم والمعايير المألوفة للعلاقات بين الدول، من قبيل إقامة علاقات حسن جوار وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والكف عن ممارسة التهديدات وغير ذلك من الكلام الذي يصلح كخطاب في الجمعية العامة للأمم المتحدة، يسمعه المندوبون ويندبون حظ الوقت الذي ضاع في تكراره.

وواضح من ذلك أن الطرفين يتحدثان بلغتين مختلفتين وأن الحوار بينهما هو حوار طرشان.

إيران تتصرف وكأنها ذلك الأرعن الذي لا يهمه أي شيء. بينما تتصرف السعودية وكأنها ذلك الغني الذي يخاف على كل شيء، من كل شيء.

وهذا وضع لا يمكن أن يُفضي إلى أي نتيجة. ومثلما أن السعودية تحاول أن "تشتري الوقت" فإن إيران تفعل الشيء نفسه لترى، على سبيل المثال، ماذا يمكن أن يترتب عن محادثات فيينا بشأن الاتفاق النووي.

أربع جولات من الحوار جرت حتى الآن بينما صواريخ الحوثي وطائراته المسيرة ظلت تتقاطر لتضرب مراكز شتى في السعودية وكانت تلك الصواريخ والطائرات بمثابة رسائل تضعها طهران على طاولة الحوار

شراء الوقت عمل معقول. ولكن من أجل ماذا؟ هذا هو السؤال. فإذا كان الوقت سلعة تُشترى من أجل نفسها، فالوقت ينفد، لنعود إلى الوضع الكريه ذاته.

إيران لا تشتري الوقت إلا من أجل أن تبني عليه. فهي تؤسس لنفسها وضعا وتريد أن تجعله مقبولا وراسخا. ولن تتنازل عن هيمنتها في أي مكان وضعت أقدامها فيه. وهذا ما لا تفعله السعودية حتى الآن على الأقل.

أربع جولات من الحوار جرت حتى الآن، بينما صواريخ الحوثي وطائراته المسيرة ظلت تتقاطر لتضرب مراكز شتى في السعودية. وكانت تلك الصواريخ والطائرات بمثابة رسائل تضعها طهران على طاولة الحوار.

كان من الصحيح والأنسب أن ترد السعودية بسلسلة لا تنتهي من الصواريخ والطائرات ضد الحوثي تجعل ليلهم ونهارهم جحيما، فتكون تلك هي رسائلها على طاولة الحوار.

لا يحسن بالمرء أن يشك بأن هذه هي الرغبة الحقيقية في الرياض. ولكنها رغبة مكبلة، وإيران ترى ذلك.

حسابات واعتبارات شتى تجعل المملكة بحاجة إلى أخذ العواقب بنظر الاعتبار. والتدهور في تلك العواقب هو نفسه يجعل تكبيل الإرادة محنة حقيقية.

وهناك خياران يجدر أخذهما بالاعتبار حيال هذا الوضع.

الأول، الكف عن الحوار. لأن إيران هي التي تستفيد منه كمضيعة للوقت. وحيث أن مطالب السعودية لا تتعدى معايير العلاقات المألوفة بين الدول، فإنه يكفي أن تقول لإيران إن الحوار لا يبدأ إلا عندما تقر إيران علنا بأنها تحترم تلك المعايير وتلتزم بها في العلاقة مع السعودية وكل دول المنطقة الأخرى. وأن تتوقف عن كل أعمال العدوان ضدها.

على الأقل يجب أن يكون ذلك هو "عربون" الحوار من قبل أن يبدأ.

والثاني، أن تبني السعودية قوتها الخاصة التي لا تراهن فيها على الآخرين، وأن تُظهر الاستعداد لاستخدامها، وتجعل إيران تفهم أنها ليست قوة التهديد الوحيدة.

أن تعود من جولة حوار إلى أخرى وأنت تحت القصف، فذلك يعني قبولا ضمنيا بالبقاء تحت التهديد.

ما كان ينبغي لجولات الحوار أن تتواصل بينما الحوثي يرسل صواريخه المُصنّعة في إيران إلى السعودية. لأن في ذلك من إشارات الضعف ما يكفي للقبول بالمزيد.

السعودية صمتت على الأضرار من جراء ضرب منشآتها النفطية. تحملت التكاليف ولم تطالب الأمم المتحدة لا بتعويضات ولا بضمانات تحول دون تكرار ذلك العمل.

وهذا وحده إغراء لإيران لكي تفعل المزيد.

لماذا تقبل المملكة الدخول في حوار من هذا الموقع؟ الامتناع عنه أفضل.

ولماذا لا ترد على الصاروخ الحوثي بعشرة؟

في النهاية، فإذا كانت غاية الحوار هي شراء الوقت، فالوقت يُشترى لأجل هدف. أما إذا كانت غايته التوصل إلى "توافقات" فهذه مستحيلة. وهي لا تعدو كونها خداعا للنفس.

إيران تعرف ما تريد. بالحوار أم بالصواريخ، فإن ما تريده هو نفسه، وتسعى لفرضه بالتراضي أو بالقوة.

عندما يمكن نسخ الجملة السابقة لتكون "السعودية تعرف ما تريد. بالحوار أم بالصواريخ، فإن ما تريده هو نفسه، وتسعى لفرضه بالتراضي أو بالقوة"، فإننا سنكون في حال مختلف. والحوار نفسه سيكون مجديا.

إذا جاز لشراء الوقت أن يذهب في هذا الاتجاه، فإنه وقت من ذهب. ولكنه من رماد إذا ظلت إيران تكسبه لتواصل إرسال الصواريخ.

ليس من اللائق بمكانة السعودية أن تكون في هذا الموضع. وإيران ليست ممن يجدر التحاور معه على أي شيء في الواقع. ليس لأنها تتحدث بلغة مختلفة، بل لأن طبائع العدوان فيها لن تتغير. إنها منهج. وهي لن تتخلى عنه حتى تنقلب السماء على الأرض.

وانقلاب السماء على الأرض أمر ممكن. وسبق له أن حصل. ومن أجل ذلك فقط، يصح شراء الوقت.

يقول الأمير فيصل بن فرحان وزير الخارجية السعودي إن جولات الحوار "ما تزال استكشافية". وهذا تعبير دقيق للغاية. وهو قد يعني أن السعودية تريد أن تستكشف ما يمكن لإيران أن تستكشفه من نفسها. أي أن ترى إيران بينها وبين نفسها ما إذا كانت تريد أن تقيم علاقات "حُسن جوار".

النتيجة الوحيدة التي رأيناها حتى الآن، هي أن إيران تريد أن تقيم علاقات "حسن صواريخ"؛ "حسن تهديدات متواصلة".

أفهل جاء الوقت لتستكشف السعودية من نفسها ما يمكنها أن تفعله؟ أفهل جاء الوقت لتشتري الوقت لأجله؟

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk